الفصل السابع

في حروف العربيّة

واعلم انّا لمّا كنّا بحمد الله أمّة وسطاً خير أمةٍ أُخرجت للناس وكان خير الامور اوساطها وكانت حروف اللغات ما بين اربعة وعشرين حرفاً الى ستة وثلثين كما تقدم كانت حروف الكلام العربي التي بها رُقِم القرآن الكريم ثمانية وعشرين حرفاً في اللفظ متوسّطة بين حروف اللغات وهي ا ب ت ث الى آخره. وتسمّى حروف الهجاء وحروف التهجي. ويسمّيها سيبويه والخليل حروف العربيّة اي حروف اللغة العربيـة وهي التي يتركّب منها الكلام العربي. وتسمّى ايضاً حروف المعجم امّا لانها مقطّعة لا تُفهم الّا باضافة بعضها الى بعض واما لان منها ما يُنقط النَّقْط المعروف او يُنقط كلها اي يُشكّل اذ النقط قد يكون بمعناها. وقال بعض اهل اللغة النَّقْط بالسواد كمثل التاء عليهـا نقطتان. ويقال منهُ « اعجمتُ الحروف » ومعناهُ حرف الخط المعجم وبعضهم يجعل المعجم مصدراً بمعنى الإعجام من « اعجمت الشيء » اذا بيّنتهُ فكانها مبيّنة للكلام وتكون الهمزة في « أعجمت » للازالة اي ازلت عُجمتـهُ امّا بنقطهِ او شكلهِ. قال الشيخ عبد الخالق ابي القسم المصري : « واذا اعتبرت سائر اللغات بالتحقيق لن يزيد ذلك على ثمانيـة وعشرين حرفاً » يريد غير اللام الف في الحروف العربيّة. والقائل بذلك يجعل اللام الف مركّبًا من حرفين فلا يعدُّهُ حرفاً مستقلًا

قال علماء الحرف: وجُعلت ثمانيـة وعشرين حرفاً على عدد منازل القمر الثمانية والعشرين. قالوا : ولمّا كانت المنازل القمريّة يظهر منها فوق الارض اربع عشرة منزلة ويغيب تحت الارض اربع عشرة كانت هذه الحروف منهـا ما يظهر مع لام التعريف اربعة عشر بعدد والمنازل الظاهرة وهي: الالف والباء والجيم والحاء والخاء المعجمة والعين المهملة والغين المعجمة والفاء والقاف والكاف واللام والهاء والواو والياء المثنّاة تحت. تقول « ألالف والباء والحاء » فتظهر اللام في لفظك وكذلك في البواقي. وما يندغم منها اربعة عشر حرفاً ايضاً بعدد المنازل الثانية وهي التاء المثنّاة من فوق والثاء المثلّثة والدال المهملة والذال المعجمة والراء والزاي والسين المهملة والشين المعجمـة والصاد المهملة والضاد المعجمة والطاء المهملة والظاء المعجمة واللام والنون تقول: « التّاء والثّاء والدّال » فيخفى اللام في لفظك وكذلك في البواقي ...

ثمَّ للحروف العربية فروع توجد في اللفظ دون الكتابة مستحسنة ومستقبحة تبلغ بها الحروف العربيَّة سبعة واربعين حرفاً ولا يوجد ذلك في لغة امةٍ من الامم . اضربنا عن ذكرها لعدم تعلُّقها بالخط الذي نحن بصدده وبالله المستعان

الفصل الثامن

في بيان جهة ابتداءات الحروف

واعلم ان اصحاب الاقلام اختلفوا باعتبار مقاصدهم في البداءة بالحروف فمنهم من يبدأ من اليمين الى اليسار كالعرب والعبرانيين والهنود واهل الطبيعة (١ والسريان اخذاً فيهِ على سير الفلك من المشرق الى المغرب والشرق عندهم يمين الفلك ويقال لهُ « ماخد كورى » وقيل لان فيهِ الاستمداد من الكبد الى القلب. ومنهم من يبدأ من اليسار الى اليمين كالروميَّة واليونانيَّة والقبطيـة وفنٌ من الفارسيَّة اخذاً فيهِ على سير الكواكب السبعة السيَّارة من المغرب الى المشرق ويقال لهُ « ماجد دورى » وقيل لانهُ ناشئٌ عن حركة القلب الى الكبد

الفصل التاسع

في كيفية ترتيب الحروف

واعلم ان ترتيب الحروف على ضربين مفرد ومزدوج . وبين اهل الشرق واهل الغرب (٢ في كل من النوعين خلاف الترتيب

اما المفرد فاهل الشرق يرتبونهُ على هذا الترتيب : ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ي

واما اهل الغرب فانهم يرتبونهُ على هذا الترتيب : ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و لا ي

واما المزدوج فاهل الشرق يرتبونهُ على هذا الترتيب : ابجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ

واهل الغرب يرتبونهُ على هـذا الترتيب : ابجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ظغض

١) يريد باهل الطبيعة الصابئين لبادئهم قوّات الطبيعة

٢) اهل الغرب هنا عرب شمالي افريقية

على انهُ قد اختُلف في كلمات ابجد هل لها معنى ام لا وهل يُكره تعلُّمهـا ام لا واكثر الناس في الشرق والغرب على تعلُّمها. وقد جاء انها كانت تُعلَّم في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ ويشهد لذلك قول الاعرابي في ابياتهِ:

اتيتُ مهاجرين فعلموني ثلاثة اسطر متتابعاتِ
وخطُّوا لي ابا جادٍ وقالوا تعلَّم سعفصاً وقرَشاتِ

وقيل ان ابجد وهوز وحطي وكلمن كانت اسماء ملوك مدين وقد تقدم ان الاربعة المذكورة كانت اسماء واضعي الخط العربي على قولٍ. والله اعلم (راجع الشرق ١ : ٢٧٨)

الفصل العاشر

في كيفيَّة صور الحروف العربيـة وتداخل اشكالها

قد تقدم ان الحروف العربيَّة على ثماني عشرة صورة وهي: صورة الالف. وصورة البـاء والتاء والثاء. وصورة الجيم والحاء والخاء. وصورة الدال والذال. وصورة الراء والزاي. وصورة السين والشين. وصورة الصاد والضاد. وصورة الطاء والظاء. وصورة العين والغين. وصورة الفاء والقاف. وصورة الكاف. وصورة اللام. وصورة الميم. وصورة النون وصورة الهاء. وصورة الواو. وصورة اللام الف. وصورة الياء. وفرقوا بينهـا بالنقط كما سيأتي. وقصدوا بذلك تقليل الصور للاختصار لان ذلك اخفّ من ان يُجعل لكل حرف صورة فتكثر الصور. ثم ترجع الثماني عشرة صورة بعد ذلك الى خمس صور وهي: الالف والجيم والراء والنون والميم

ففي صورة الالف احدى عشرة صورة: الف قائمةً وهي ا. وسبع الفات مسطوحات وهي: ب ت ث ك ل ي فكل هذه على صورة الالف غير ان منها ما تُكرَّر فيهِ صورة الالف وهي الكاف واللام. والفاء مبطوحتان وهي ط ظ. والف معطوفة وهي لا

وفي الجيم سبع صور: جيم مرفَّلة وهي ج ح خ. وجيمان محذوفتان وهما د ذ. وجيمان شاخصتان وهما ع غ

وفي الراء ثلث صور وهي: ر ز و

وفي النون ست صور وهي: ن س ش ص ض ق

وفي الميم صورتان وهما: م ه

الفصل الحادي عشر

في الحث على تحسين الخط

لا خفاء ان حسن الخط من احسن الاوصاف التي يتّصف بها الكاتب وانهُ يرفع قدره عند النـاس ويكون وسيلة الى نجح مقاصده وبلوغ مآربه مع ما ينضمُّ الى ذلك من الفوائد التي لا تكاد تحصى كثرةً. وقد قال امير المؤمنين علي كرم الله وجههِ: الخطّ الحسن يزيد الحق وضوحاً. وقال بعض العلماء: الخطّ كالروح في الجسد فاذا كان الانسان جسيمًا وسيمًا حسن الهيئة كان في العيون أعظم وفي النفوس افخم. واذا كان على ضدّ ذلك سئمتهُ النفوس ومجتهُ القلوب. فكذلك الخطُّ اذا كان حسن الوصف مليح الرصف مفتّح العيون املس المتون كثير الائتلاف قليل الاختلاف هشّت اليـهِ النفوس واشتهتهُ الارواح حتى ان الانسان ليقرأهُ وان كان فيهِ كلام دني ومعنى ردي مستزيدًا منهُ ولو كثر من غير سأمة تلحقهُ. واذا كان الخطّ قبيحًا مجتّهُ الافهام ولفظتهُ العيون والافكار وسئم قارئهُ وان كان فيهِ من الحكمة عجابها ومن الالفاظ غرابها. ويقـال ان الخطّ مُوازٍ للقراءة فاجودُ الخطّ أبينُهُ كما ان اجود القراءة أبينُها ولا يخفى ان الخط الحسن هو البيّن الرائق البهج

ثم قد تقدم في الكلام على اصل وضع الخط ان الخط واللفظ يتقاسمان فضيـلة البيان ويشتركان فيها. قال في مواد البيان: ولمّا كان الخطّ قسيمًا للفظ في البيان الذي امتنَّ الله بتعليمـهِ على الانسان وجب على الكاتب ان يُعنى بامر الخطّ ويراعي من تجويدهِ وتصحيحهِ ما يراعيه من تهذيب اللفظ وتنقيحـهِ ليدلّ على سرعة وسهولة كما يدل اللفظ البليغ البين. لانَّ الخطَّ وان كان على الاطلاق في المنزلة التي لا تساوَى من الشرف فانما تحصل فضائلهُ للجيد منهُ كما ان المنطق وان كان من الشرف في هذا الحد فانما تحصل فضائلهُ التامّة لمنطق البليغ اللسن دون منطق العيّ الألكن وكذلك سائر الصنائع الفاضلة على الاطلاق انما يحصل فضلها للماهر فيها دون المبتدئ

قال: فينبغي للكاتب ان لا يقدّم على تهذيب خطهِ وتحريرهِ شيئاً من آدابهِ فان جودة الخطّ اول الادوات التي ينتظم بحصولها لهُ اسم الكتابة ويُحكم عليهِ اذا حازها بانهُ من اهلها. وقد دخل بحسن الخطّ في الصناعة من اذا فُحص عن مقدار معرفتهِ

وجب ان تُنزَّه الكتابة عن نسبتهِ اليها . ويجب مع ذلك ان يراعى تأسيس الخط على الرضع الذي اصطلح عليهِ المجيدون من الكتَّاب فقد قسم اهل الصناعة الخط الى قسمين محقَّق ومطلق . فاما المحقق فما صحَّت اشكالهُ وحروفهُ على اعتبارها مفردةً . قال في موادّ البيان : وهذا القسم في الذي يستعمل في الامور الجسيمة ككتب العهود والاسجالات والتسليكات التي تبقى على الاعقاب والمكاتبات الصادرة عن الملوك الى الملوك الدالة على قدر المكتوب عنهُ والمكتوب اليهِ . واما المطلق فهو الذي تداخلت حروفهُ واتصل بعضها ببعض . قال في موادّ البيان : وهو خطٌ مولَّد من المحقق يُستعمل في تنفيذ ما لا يمكن تأخيره من المكاتبات المهمة والامور العامة . وقال : ويجب ان يلزم الطريقة في كل واحد من الخطين ولا يخلط حروف احدهما بحروف الآخر

الفصل الثاني عشر

في الطريق الى تحسين الخط

ويُتوصَّل الى ذلك بامور : الاول معرفة تشكيل الحروف . قال في موادّ البيان : وهو الاصل في ادب الخط لانَّ الخط انما يُستحي جيدًا اذا حسنت اشكال حروفهِ وانما يسمى رديئًا اذا قبحت اشكال حروفهِ وحسن صور حروف الخط في العين شبيه بحسن مخارج اللفظ المذب . قال : والوجه في تصحيح الحروف ان تبدأ اولًا بتقويمها مفردةً مبسوطةً لتصح صورة كل حرف منها على حيالها . ثم تأخذ في تقويمها مجموعةً مركَّبة وان تبدأ من المركَّب بالثاني والثلاثي ثم الرباعي ثم الخماسي فان هذه هي امثلة الاسماء والحروف الاصلية . وان يُعتمد في التمثيل على توقيف المهرة في الخطوط العارفين باوضاعها ورسومها واستعمال آلاتها فان لكل خط من الخطوط قلمًا من الاقلام يصلح لذلك الخط . وهذه الاقلام المختلفة نظير آلات الصنائع المختلفة التي يصنع الصانع بكل آلة منها جزءًا من صناعتهِ لا يصنع بهِ غيرهُ . ولا يعوَّل على كتابة خطٍّ من الخطوط بنقل مثالهِ بنفسهِ فان ذلك لا يكفيهِ اذ لو كان ذلك كافيًا لاستُغني من جميع الصنائع عمن توقَّف عليها . على ان كثيرًا من اصحاب الخطوط قد كتبوا طبعًا دون التوقيف من احد على طريقة من طرق المحرَّرين الَّا ان الافضل ان يبنى الخطّ على اصل يكون لهُ اساسًا فاذا فُصِّلت احوالهُ انكشف فساد كثير من حروفهِ

(الباقي للآتي)